

الهجرة الجزائرية إلى فرنسا خلال فترة الاحتلال الفرنسي 1830-1962م -قراءة في الأسباب والدوافع-

الباحثة: سامية بن فاطمة ، أ.د. بوبكر حفظ الله.
. جامعة تبسة - الجزائر

المخلص:

سعت فرنسا منذ احتلالها للجزائر سنة 1830م إلى جعلها تابعة لها، فطبقت عليها سياسة استيطانية هدفها التخلص نهائيا من الشعب الجزائري، ليتحول بذلك الاقتصاد الجزائري من اقتصاد معاشي قائم أساسا على خدمة الأرض إلى اقتصاد نقدي موجه لخدمة الاقتصاد الفرنسي بالدرجة الأولى، وبذلك تجتمع العديد من الأسباب الاقتصادية والاجتماعية والنفسية و... لتنتهي بعدد من الجزائريين إلى الإحساس بالغربة داخل الوطن الذي تحكمت فيه فرنسا، هذه الأخيرة سعت جاهدة إلى وضع الجزائري في حيز ضيق وهو مسلوب الحقوق، فاختر الكثير من الجزائريين بلاد ما وراء البحار وجهة لهجرتهم، ليكون بذلك فعل الهجرة شكلا من أشكال المقاومة ضد فرنسا، مقاومة ترفض الاستكانة لمحتل بغيبض، يطلب من خلالها الجزائريون المهاجرون حرية واحتراما وربما فرصا لم يعد يوفرها لهم وطنهم المغتصب.

Abstract:

Since its occupation of Algeria in 1830, France has sought to make it dependent on it, It has adopted a settlement policy aimed at eliminating the Algerian people completely. The Algerian economy is thus transformed from a subsistence farming economy to a monetary economy aimed at serving the French own economy. Thus, many economic, social and psychological causes are met to lead a number of Algerians to a sense of alienation within their homeland ruled by France. The latter tried hard to put the Algerians in a narrow space, deprived of their rights. Many Algerians chose foreign countries as a destination for emigration. So; the act of emigration was a form of resistance against France, a resistance that expresses resentment and rejected an abhorrent occupier. Through this resistance, the Algerian emigrants demanded freedom and respect and may be opportunities that are no longer provided by their usurped homeland.

مقدمة:

سعت فرنسا منذ احتلالها للجزائر سنة 1830م إلى جعلها تابعة لها، فطبقت عليها سياسة استيطانية هدفها التخلص نهائيا من الشعب الجزائري، ويذكر الدكتور أبو القاسم سعد الله أن فرنسا عملت على جلب الهجرة الأوربية إليها فنادت في العواصم الأوربية للهجرة إلى الجزائر، بلاد الفرص والمغامرات والعيش الرغد فتدفقت الهجرة الأوربية نحو الجزائر من مدن البحر الأبيض المتوسط وألمانيا وسويسرا وبلجيكا وحتى هولندا والبلاد الاسكندنافية، واقتسموا أراضي الجزائر الخصبة...، لكننا في هذا المقال لن نعالج هذا النوع من الهجرة، بل سنخوض في موضوع الهجرة في الاتجاه المعاكس أي الهجرة الجزائرية

التي حدثت عندما تحول الاقتصاد الجزائري إلى اقتصاد نقدي يخدم فرنسا الاستعمارية، واستنفذت موارد الجزائر واستغلت طاقاتها البشرية بأبخص الأثمان، فوجد الفرد الجزائري أن عليه الخروج من الحيز المغلق الذي وضع فيه، فكان الحل في الهجرة التي كانت صوب عدة جهات منها بلدان المغرب العربي خاصة تونس والمغرب وكذا نحو المشرق العربي، على أن عددا هاما من الجزائريين اتجهت أنظاره إلى فرنسا، ومن هنا طرح الإشكالية التالية: ما هي الدوافع الحقيقية التي جعلت عددا كبيرا من الجزائريين يفكر في مغادرة بلاده وأرضه وأهله، ليجعل من فرنسا -وهي تمثل بلاد المحتل- وجهة له؟ وبصياغة أخرى إلى أي مدى يمكن أن تشكل السياسة الفرنسية المطبقة تجاه الجزائريين قابلية لدى الفرد لمغادرة بلاده وأهله وبالتالي الهجرة إلى بلاد ما وراء البحار؟

للإجابة على هذه الإشكالية قمنا بطرح مجموعة من المحاور مثلت الهيكل العام لهذا المقال

الذي سنحاول من خلاله مناقشتها وبالتالي الإجابة عنها، والمحاور هي:

- 1 - مفهوم الهجرة
- 2 - أصول الهجرة الجزائرية إلى فرنسا 1830-1962م
- 3 - الأسباب الحقيقية وراء فعل الهجرة الجزائرية إلى فرنسا

أولاً: مفهوم الهجرة

كلمة "هاجروا" مأخوذة من الفعل الرباعي "هاجر" والاسم "هجرة"، والفعل هاجر، وهجرة غير هاجر، فقد يترك الإنسان مكانا ويقيم فيه، وهذا معناه "هجرة" أي يترك وهو عن قلة وضيق يدفع إلى الهروب، إنما "هاجر"، لابد أن يكون هناك تفاعل بين الاثنتين ألقاه إلى أن يهاجر، و"الهجرة" هي الخروج من ارض إلى ارض⁽¹⁾.

وتتشكل الكلمة المشتقة "هجرة" من كلمة "emigration"، التي كانت تعني سنة 1852م فعل مغادرة البلد الأصلي، تجد هذه الكلمة أصلها في اللاتينية من خلال كلمة "Imigrare" وتعني (المجيء إلى، الولوج إلى) وهي مركبة من مقطعين "im" و "migrare" الذي يعني "تغيير مكان الإقامة الأصلي"، أما فيما يخص فعل "هاجر" الذي يعني (الدخول إلى بلد أجنبي) فهو معنى حديث نسبيا، إذ تم تخصيص معناه باللغة الفرنسية انطلاقا من علاقته بفعل "هاجر" "emigrer"⁽²⁾

يعرف المؤتمر الدولي المعقود في روما سنة 1924م "المهاجر" "بأنه كل أجنبي يصل إلى بلد طلبا للعمل ويقصد الإقامة الدائمة ... وهذا نقيض العامل الذي يصل إلى بلد للعمل فيه بصفة مؤقتة"، ومن خلال هذا التعريف فانه لا يمكننا إطلاق لفظ "المهاجر" على جل الجزائريين في فرنسا ذلك أن من خصائص المهاجر الجزائري أن لا يقيم مدة طويلة بدون سفريات منتظمة إلى وطنه الأصلي، فهجرته مؤقتة⁽³⁾، ومن خلال تحقيق أجراه المكتب العالمي للشغل للتوصل إلى تعريف شرعي للمهاجر، أن هذا

الأخير يختلف تعريفه من بلد إلى آخر باختلاف المعايير عند كل دولة⁽⁴⁾ ويبدو من خلال التحقيق أن اغلب الدول تتفق على ضرورة توفر احد العاملين في المهاجر (أن يهاجر الإنسان بلاده نهائيا أو أن يقيم في البلد المهاجر إليه ليعيش ويعمل) وهذان العاملان المذكوران هما المميزان للمهاجر عن أشباهه كالمسافر والرحالة والسائح، وبذلك يكون أهم ما يميز المهاجر عن أشباهه هو قصده من السفر أو حالته النفسية وقت السفر، وعليه يكون العامل المميز هو عامل نفساني بالدرجة الأولى، وبالتالي يمكننا إطلاق لفظ مهاجر على جل الجزائريين في فرنسا، وذلك لتوفر احد العاملين، وهو الإقامة في البلد المهاجر إليه للعيش والعمل⁽⁵⁾

وحسب تعريف "جونار" gonnard فان الهجرة هي: "ترك بلد والالتحاق بغيره، سواء منذ الميلاد أو منذ مدة طويلة بقصد الإقامة الدائمة، وغالبا بقصد تحسين الوضعية بالعمل"⁽⁶⁾ وتجدر الإشارة هنا إلى أن الهجرة نوعان، هجرة إرادية "طوعية" يقرر صاحبها بنفسه وبكل إرادة الهجرة، أما التهجير الإجباري فيلزم فيه الفرد أو الجماعة ترك البلاد أو ترك الحي أو المنطقة التي يسكنها لأنه يشكل خطرا من الأخطار⁽⁷⁾ وعموما سواء تكلمنا عن الهجرة أو التهجير أو النفي أو التشريد، فكلها ذات معنى واحد، لان الجزائري عندما نقول له مهاجر أو مهجر أو منفي، فكما يقول المثل العربي "مكره أخاك لا بطل" والذي هاجر فقد نقل بالقوة وهناك من اختار الهجرة مكرها، فسمي مهاجر طوعية وهناك من نقل في البواخر في ظروف مختلفة وهجر إلى خارج البلاد فسمي مهاجرا أيضا⁽⁸⁾

ويمكننا اعتبار الهجرة الجزائرية ظاهرة استعمارية لكونها انطلقت بشكل مكثف بعد اشتداد الضغط الاستعماري الفرنسي على الجزائريين، من خلال ممارسته مختلف أنواع التعذيب والقتل والتشريد والتجويد، بهدف إبعاد الوطنيين عن الساحة من جهة والاستيلاء على أوسع مساحة من الأراضي للوافدين الجدد من الأوروبيين من جهة أخرى⁽⁹⁾ ونذكر في هذا الصدد أن الجزائري كان حريصا آنذاك على ثلاثة أشياء مثلت عناصر الرجولة لديه هي (الأرض، الزوجة، البندقية)، إذ انه لا يعتبر نفسه رجلا إذا فرط فيها، وتسمح له البندقية بالدفاع عن الاثنين، حيث إذا سلب الرجل أرضه وضرب في عرضه وفك منه سلاحه، لن يبقى له شيء، وهذا ما يجعل الفرد الجزائري يقود نضالا مستميتا، حيث انه يعاني من تهديد المحتل الفرنسي منذ أن وطئت أقدامه ارض الجزائر⁽¹⁰⁾

ثانيا: أصول الهجرة الجزائرية إلى فرنسا 1830-1962م.

بدأت الهجرة الجزائرية مع الغزو الفرنسي للجزائر سنة 1830م، غير أن الوجهة الرئيسة للمهاجرين منذ بداية الاحتلال وحتى مطلع القرن العشرين لم تكن فرنسا، وإنما كانت بلاد الإسلام مغربا ومشرقا، ولعل الدوافع الأساسية لهذا الفعل كانت سياسية ودينية بالدرجة الأولى، وذلك عندما كانت جماعات بأكملها تغادر الجزائر نحو تونس والمغرب والمشرق العربي وتركيا وغيرها من بلاد الإسلام، حتى لا تبقى تحت سلطة غازية ونظام استعماري كافر، ولم تكن فرنسا وجهة أساسية للهجرة قبل عام 1914م رغم أن

الجزائر كانت تعتبر قطعة فرنسية، ربما لأنها مثلت للجزائريين ارض المستعمر المحتل، زيادة على أنها بيئة غريبة لا تلائم قيمهم ومبادئهم⁽¹¹⁾ لتكون بذلك الحرب العالمية الثانية سببا في إعادة توجيه تدفق المهاجرين الجزائريين وتغيير نوعيته، حيث لم يعد المشرق العربي الوجهة المفضلة للمهاجرين، كون أن مجموع بلدان الشرق الأوسط أصبحت تحت الحماية الفرنسية أو البريطانية، في حين يسجل تواصل الهجرات نحو المغرب وتونس، لكن بوتيرة اقل، فالأمر لم يعد يتعلق بالهروب من الوجود الفرنسي، لكنها أصبحت حملات هجرة داخل النظام الاستعماري قصد الاستجابة لحاجياته⁽¹²⁾، والحقيقة أن الجزائريين هجروا وهاجروا، إذ هاجر عدد كبير من المدن والأرياف مع بداية الاحتلال، وأيقنوا أن البقاء تحت حكم الكافر لا يجيزه الشرع، والمؤكد انه ليس كل من خرج من مدينته قد هاجر إلى المشرق، حيث تفرق السكان في البداية خارج المدن في انتظار ما ستسفر عنه الحرب، ولجا آخرون إلى المدن و المراكز التي سيطر عليها الأمير عبد القادر، ولم يهاجر فعلا خارج الحدود إلا عدد محدود ممن توفر لهم المال أو العلم أو إمكانيات الاستقبال⁽¹³⁾.

أما عملية التهجير فقد بدأت فرنسا بتنفيذها مع بداية الاحتلال، حيث شملت الأعيان والقادة السياسيين الذين اجبروا على مغادرة بلادهم، فكانت البداية باتهام العناصر الفاعلة في الساحة الدينية والسياسية بالتآمر ضد الفرنسيين أو بالارتباط بالأتراك أو بالانضمام إلى مقاومة الأمير عبد القادر الجزائري⁽¹⁴⁾.

في الحقيقة لا يمكننا وضع تاريخ محدد للهجرة الجزائرية، سواء الداخلية منها أو الخارجية، غير انه يمكننا تحديد سنة 1871م كبدية للتغيير الاجتماعي بالجزائر، ففيها جاءت الجمهورية الثالثة التي انتزعت السلطة من يد الجيش الفرنسي، ومنحت المهاجرين الأجانب الأراضي الخصبة بالقوة، كما أنها تمثل أيضا سنة وقوع ثورة جزائرية⁽¹⁵⁾، وتصادف هذه السنة أيضا استيلاء حكومة الجمهوريين على 500000 هكتار من أخصب الأراضي الجزائرية، وإتباع فرنسا لسياسة جديدة أطلق عليها "سياسة الاستعمار الرسمي"، بمعنى تزويد المهاجرين الفرنسيين والأجانب بالأرض مجانا⁽¹⁶⁾، وبالتالي سيجد الجزائري نفسه مجردا من مصدر عيشه وهي أرضه فما كان منه إلا أن فكر في الهجرة ومغادرة المكان الذي لحقه فيه ضيم كبير. وبتاريخ 16 ماي 1874م نجد إدارة الاحتلال الفرنسية تصدر مرسوما يمنع الهجرة الجزائرية إلى فرنسا دون الحصول على إذن خاص بالسفر والعمل هناك⁽¹⁷⁾، وهذا ما يؤكد لنا أن الهجرة الجزائرية إلى فرنسا بدأت قبل سنة 1874م، أين كان طليعة المهاجرين هم الرعاة الذين رافقوا أنعام مستخدميهم المعمرين إلى مدينة مرسيليا، وكذا التجار المتجولون بالسجاجيد والتحف الجزائرية والخدم لدى الخواص الفرنسيين أيضا⁽¹⁸⁾.

وفي الربع الأول من القرن العشرين بدأ الاهتمام الفرنسي يدور حول التوسع الصناعي وتطوير السياسة الاقتصادية تماشيا مع التقدم السريع الذي بلغته دول أوروبا الغربية، وبالتالي فهي بحاجة إلى اليد

العاملة لسد حاجيات الصناعة الفرنسية فاتجهت أنظار رجال الأعمال الفرنسيين إلى الاستعانة بالعمال خاصة في تلك الوظائف التي لا تحتاج إلى مهارة فنية كبيرة⁽¹⁹⁾، ثم تقرر بموجب قانون 1904/12/24م، إلغاء الترخيص بالسفر إلى فرنسا، لتصل بذلك إلى فرنسا بضعة مئات من الجزائريين القبائل سنتي 1906م و 1907م، وبعد أن رضيت معامل التكرير بمردودهم بادرت إلى توظيف عمال جزائريين آخرين في معاملها بباريس⁽²⁰⁾، وكان التحقيق الذي أجرته لجنة كونتها الولاية العامة سنة 1912م المهاجرين الجزائريين الأوائل قد بين كيف تحول هؤلاء عن عملهم الأصلي إلى عمال بالمصانع الفرنسية⁽²¹⁾، وفي ذات السنة كان عدد المهاجرين الجزائريين إلى فرنسا لا يزيد عن 5000 جزائري، منهم حوالي 2000 أغلبهم من منطقة القبائل، يعملون في الصناعة بمنطقة مارسيليا، خاصة في معامل الصابون والموائى، في حين كان هناك نحو 1500 عامل يعملون في مناجم ومصانع شمال فرنسا ومنطقة با-دي-كالي، إضافة إلى تواجد عدد آخر منهم في المنطقة الباريسية يعملون في مؤسسات مثل مصفاة "ساي" وشركة النقل وورشات انجاز المترو⁽²²⁾.

وقصد مجازاة ألمانيا في مجال الصناعة الحربية قررت فرنسا مضاعفة مجهوداتها، عن طريق الاستعانة بالعمال الجزائريين، فكان إصدار مرسوم من قبل الحكومة الفرنسية بتاريخ 18 جوان 1913م، ثم جاء متمما له مرسوم 1914/07/15م، حيث أعلنت من خلالهما اتخاذ بعض الإجراءات لتسهيل هجرة العمال الجزائريين إلى فرنسا⁽²³⁾ ليتم فيما بعد إلغاء مرسوم 16 ماي 1874م المقيد للهجرة بقرار صادر بتاريخ 18 جوان 1913م الذي أكده قانون 1914/07/15م، المتعلق بإلغاء "رخصة السفر"، غير أن ذلك لم يكن كافيا لتدفق اليد العاملة الضرورية لتعويض العمال الفرنسيين المجندين في الجبهة، فكان وصول حوالي 78560 جزائري إلى فرنسا جنودا في مصانع الحرب⁽²⁴⁾.

وما يمكن ملاحظته من خلال حركة الهجرة الجزائرية، هو تناقض في مواقف السلطة الفرنسية اتجاهها، فهي لم ترى في هجرة الجزائريين إلا وسيلة لزيادة الأراضي بالنسبة للمعمرين "حيث في المستقبل كل عشيرة أو جزء من عشيرة تهاجر تحرم من أملاكها مشتركة أو خاصة في أجل مدته شهر، إذا لم تحصل على الأمان من القائد الأعلى للمنطقة أو الناحية، تعتبر هذه الأراضي ملكا للدولة"⁽²⁵⁾ ومع اندلاع الحرب الكونية الأولى لجأت فرنسا إلى تجنيد العمال الجزائريين، ومن باقي مستعمراتها للقيام بعمل الفرنسيين المجندين للدفاع عن بلادهم، ولأول مرة في تاريخ الهجرة نجدها تفرض الهجرة على العمال وتقوم بالبحث عنهم في الأماكن النائية بالجزائر، وحسب الأستاذ "عمار بوحوش" فان العمال الجزائريين الذين كان يقدر عددهم سنة 1916م بحوالي 17000 لم يلتحقوا بفرنسا لان الحكومة تعاقبت معهم للعمل في مصانعها، ولكن لأنهم اجبروا على التوجه إلى فرنسا والعمل في مصانع وزارة الدفاع ضد رغبتهم⁽²⁶⁾، كما أشرفت السلطة الفرنسية على تنظيم الهجرة سنة 1916م بتأسيسها لمصلحة "عمال المستعمرات، التي كانت تشرف عليها وزارة الحربية الفرنسية، فعمل هذه المصلحة كان تسجيل العمال في

الجزائر ونقلهم إلى فرنسا وتوزيعهم هناك، وإضافة إلى ذلك فقد تم إلحاق الشباب بوحدات الجيش الفرنسي قبل مرحلة الخدمة، حيث تم استدعاء دفعة سنة 1917م لتجبر على اللحاق بالعمل العسكري قبل أوانها بسنة⁽²⁷⁾.

وبالتالي تكون الحرب العالمية الأولى سببا في ارتفاع نسبة الهجرة الجزائرية إلى فرنسا كون أن سلطة الاحتلال فتحت باب الهجرة أمام الجزائريين، كما أنها شجعت على ذلك كون أنها في حاجة ماسة إلى هذه القوة البشرية في المجالين الصناعي والحربي. ويلاحظ خلال الفترة الممتدة ما بين 1914-1918م، أن الهجرة نحو فرنسا كانت تسير بوتيرة سريعة بسبب الحرب الكونية الأولى، فبلغ عدد المهاجرين في ذات الفترة حوالي 270000 مهاجر، عمل منهم 120000 في مجال التجهيزات العسكرية ومعامل الذخيرة، والمواصلات والمناجم وكذا حفر الخنادق بجبهات القتال، كما تم استعمال الآلاف من الجزائريين كوقود بشري في الحرب ضد الألمان⁽²⁸⁾ وبعد نهاية الحرب الكونية الأولى خرجت فرنسا بخسائر مادية وبشرية كبيرة، فخسرت ما لا يقل عن 1.800.000 شاب فرنسي ما بين 1914-1918م بمعنى خسارة اليد العاملة الأساسية لإعادة بناء البلاد والتشييد، غير أن المعمرين احتجوا كثيرا على فقدانهم لليد العاملة الرخيصة، ليصدر الوالي العام قرار سنة 1924م يقضي بفرض رقابة مشددة على الهجرة إلى فرنسا، وكانت إجراءات هذا القرار هي 1/ الحصول مقدما على عقد عمل 2/ شهادة طبية 3/ بطاقة تعريف عليها صورة 4/ شهادة ركوب السفينة بعد إحضار الوثائق السابقة، ويبدو أن الحصول على هذه الوثائق أمر هين، لكن من عايشوا المرحلة يؤكدون أن تكاليف الحصول عليها كان يفوق سعر تذكرة السفر إلى مدينة مرسيليا⁽²⁹⁾، تتابع بعدها صدور المراسيم المقيدة للهجرة تحت ضغط المعمرين، فبتاريخ 04 أوت 1926م صدر مرسوم يتضمن الإجراءات التالية (بطاقة تعريف عليها صورة وعلامة تبين تأدية حاملها لواجباته العسكرية، ورقة السوابق العدلية تثبت انعدام صدور الأحكام الخطيرة ضد المهاجر، شهادة طبية تبين سلامة الشخص من الأمراض المعدية وأنه مطعم ضد بعض الأمراض، وجود مبلغ مالي لدى العازم على السفر ينفق منه ريثما يجد عملا في فرنسا⁽³⁰⁾).

ويحلول سنة 1929م وقعت الأزمة الاقتصادية العالمية وحدث الكساد الاقتصادي الذي تأثرت به كل دول العالم، لتبدأ الهجرة الجزائرية تتحول في الاتجاه المعاكس أي نحو الجزائر وذلك بسبب الأزمة⁽³¹⁾ حيث تم تسريح عدد كبير من العمال والاستغناء على خدماتهم، خاصة أولئك الذين لا يملكون مؤهلات فنية فاضطروا للعودة إلى بلادهم بحثا عن مصادر أخرى للعيش، لتتخفف بذلك نسبة المهاجرين إلى درجة أن عدد العمال الذين التحقوا بفرنسا سنة 1934م و1935م لا يصل إلى ثلث الذين هاجروا عام 1929م⁽³²⁾، وفي سنة 1936م وصلت الجبهة الشعبية إلى الحكم فتغيرت الوضعية السياسية والاجتماعية بفرنسا، أين أظهرت رغبتها في تحسين وضعية المهاجرين الجزائريين، باتخاذها قرارا ايجابيا يوم

1936/07/17م وأصدرت تعليمات بإلغاء مرسوم 04 أوت 1926 السابق الذكر، وهنا يلاحظ أن المعمرين لم يعارضوا هذا القرار، والسبب هو توفر اليد العاملة التي أصبحت تفوق حاجتهم، وبالتالي ارتفع عدد العمال المهاجرين إلى فرنسا بحثاً عن عمل⁽³³⁾.

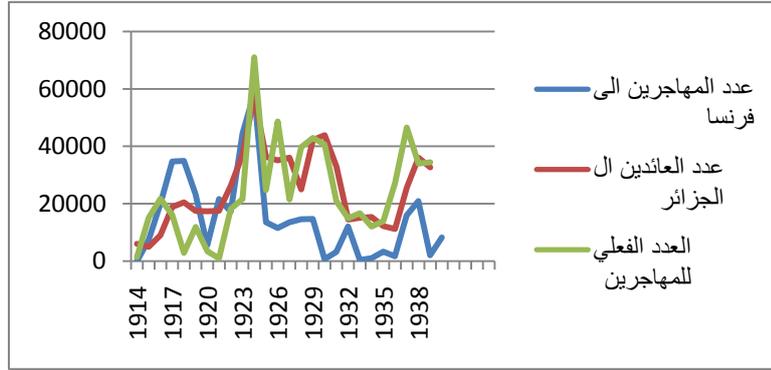
وقصد متابعة حركة المهاجرين الجزائريين بين الجزائر وفرنسا في الفترة الممتدة من 1914م إلى 1939م ارتأينا إدراج الجدول الإحصائي⁽³⁴⁾ التالي:

جدول رقم 01: يبين حركة المهاجرين الجزائريين بين الجزائر وفرنسا في الفترة الممتدة من 1914م إلى 1939

السنة	عدد المهاجرين الى فرنسا	عدد العائدين ال الجزائر	العدد الفعلي للمهاجرين
1914	7444	6000	1444
1915	20092	4970	15122
1916	34755	9044	21711
1917	34985	18849	16136
1918	23340	20489	2851
1919	5568	17497	11929
1920	21684	17380	3404
1921	17259	17538	972
1922	44466	26289	18197
1923	58586	36990	21596
1924	71028	57467	13561
1925	24753	36328	11575
1926	48677	35102	13575
1927	21472	36073	14601
1928	39726	25008	14718
1929	42948	42227	721
1930	40630	43877	3247
1931	20847	32950	12103
1932	14950	14485	465
1933	16684	15083	1061
1934	12013	15354	3341
1935	13915	12195	1720
1936	27200	11222	15978
1937	46562	25622	20940
1938	34019	36063	2044
1939	34419	32674	8255

وبترجمة هذه الأرقام إلى منحنى بياني فسنتمكن من رؤية فترات ارتفاع وانخفاض نسبة الظاهرة محل الدراسة، وبالتالي تحليلها وتعليلها.

شكل رقم 01: منحنى البياني للجدول السابق



من خلال المنحنى البياني يمكننا ملاحظة أن هناك تذبذباً في ظاهرة الهجرة، فأحيانا نجد نسبتها ترتفع، وأحيانا العكس، وهو ما يفسر السياسة الفرنسية تجاه هذه الظاهرة، فهي أحيانا تضيق عليها وأحيانا تفسح لها المجال واسعاً وتشجعها. كما أن هناك توافقاً مقبولاً بين عدد المهاجرين إلى فرنسا وعدد الباقين هناك، لكون عدد هام منهم قد استطاع إيجاد عمل وتحسين أوضاعه.

ويظهر المنحنى أنه منذ سنة 1922م استمرت إلى سنة 1924م زيادة كبيرة في عدد المهاجرين إلى فرنسا مقارنة بعدد العائدين إلى أرض الوطن، والفترة المذكورة تلي نهاية الحرب الكونية الأولى، وتفسر هذه الزيادة بتشجيع فرنسا للهجرة نظراً لحاجتها الماسة لتلك الطاقة البشرية الجزائرية التي ستساهم في بناء الاقتصاد الفرنسي بعد الحرب.

ويسجل المنحنى تراجعاً واضحاً في عدد المهاجرين خلال سنة 1929م، وهي كما أشرنا سابقاً سنة وقوع الأزمة الاقتصادية العالمية وقد أثرت على ظاهرة الهجرة، حيث بلغ إجمالي المهاجرين في فرنسا حوالي 721 مهاجر وهو عدد قليل جداً.

ومع بداية الحرب الكونية الثانية 1939-1945م يلاحظ توقف الهجرة الجزائرية الطوعية إلى فرنسا باعتبار أن البحر الأبيض المتوسط أصبح ميداناً للمعارك بين القوى الكبرى المتصارعة خلال الحرب، فشكل عبوره أمراً صعباً وخطراً، كما أن فرنسا نفسها كانت تحت الاحتلال الألماني⁽³⁵⁾ فتوقفت معظم المصانع الفرنسية عن الإنتاج وأمرت سلطات الاحتلال الألمانية بطرد ما لا يقل عن 16000 عامل جزائري⁽³⁶⁾، وبانتهاء الحرب الكونية الثانية ألغت السلطة الفرنسية كل القيود المفروضة على الهجرة الجزائرية إلى فرنسا، ليصبح بذلك المسافر الجزائري قادراً على التوجه إلى فرنسا مصحوباً ببطاقة التعريف الوطنية فقط، وهذا نظراً للحاجة الماسة إلى اليد العاملة الجزائرية خاصة في هذه المرحلة، كون أنها ستساهم في إعادة بناء الاقتصاد الفرنسي وتعويض النقص الذي أحدثته سنوات الاحتلال الألماني لفرنسا⁽³⁷⁾.

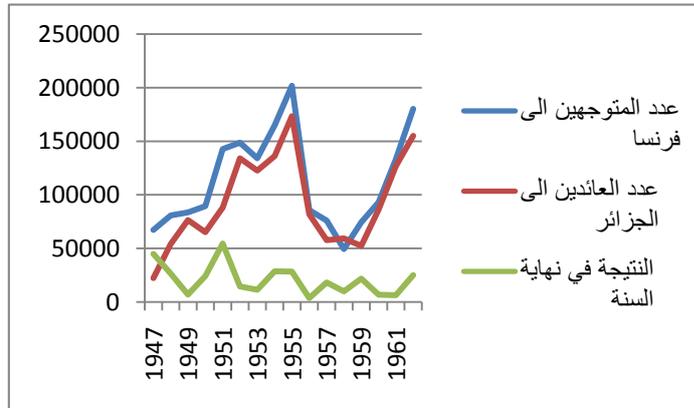
ومن خلال الجدول الإحصائي التالي سنحاول تفسير ظاهرة الهجرة بتتبع حركة المهاجرين الجزائريين بين الجزائر وفرنسا، خلال السنوات من 1947 إلى 1962⁽³⁸⁾.

جدول رقم 02: يوضح حركة المهاجرين الجزائريين بين الجزائر وفرنسا، خلال السنوات من 1947 إلى 1962⁽³⁸⁾.

السنة	عدد المتوجهين الى فرنسا	عدد العائدين الى الجزائر	النتيجة في نهاية السنة
1947	67200	22300	44900
1948	80700	54200	26500
1949	83500	76455	7045
1950	89405	65175	24230
1951	142671	88081	54590
1952	148682	134083	14599
1953	134100	122600	11500
1954	164900	136200	28700
1955	201828	173371	28457
1956	85606	81874	3732
1957	76029	57737	18292
1958	49299	59344	10045
1959	74299	52369	21930
1960	93088	86242	6846
1961	133210	126755	6455
1962	180167	155018	25149

وبترجمة هذه الأرقام إلى منحنى بياني فسنتمكن من تحليل الظاهرة محل الدراسة، كما يلي:

شكل رقم 02: منحنى البياني للجدول السابق



من خلال المنحنى البياني يمكننا ملاحظة أن هناك تناسبا نسبيا بين عدد المهاجرين إلى فرنسا والعائدين منها خلال بعض الفترات الزمنية. وان كان عدد المهاجرين إلى فرنسا يفوق عدد العائدين منها. وان نسبة الجزائريين المتواجدين بفرنسا ترتفع أحيانا وتنخفض أخرى، والسبب في ذلك يعود إلى القوانين الفرنسية المطبقة والسياسة المتبعة اتجاه ظاهرة الهجرة، حيث كان هدف السلطة الفرنسية هو الاستفادة من اليد العاملة الجزائرية، خاصة بعد نهاية الحرب الكونية الثانية، حيث اضطرت فرنسا إلى التخلي عن كل القوانين المقيدة للهجرة، وهدفها في ذلك الاستفادة من الطاقة البشرية التي يمثلها المهاجرون الجزائريون لإعادة النهوض بالاقتصاد الفرنسي.

ويسجل المنحنى تزايداً مستمراً في أعداد المهاجرين حيث فاق 67000 وذلك سنة 1947م، وبلغ هذا العدد أكثر من 83000 سنة 1949م، وفي السنة ذاتها يسجل عودة أكثر من 76455 مهاجر، ويفسر الأستاذ "الطيب بلولة" عودة هذا العدد الكبير إلى الجزائر بانتشار البطالة في فرنسا في مقابل تسجيل جودة في المحاصيل بالجزائر في نفس السنة. ولكن أيضاً من الجدير بالذكر أنه خلال تلك السنة نفسها، سجلت عدة محاصيل جيدة في الجزائر⁽³⁹⁾، واستمر عدد المهاجرين في التزايد وصولاً إلى سنة 1956م وما بعدها أين نسجل تراجعاً في أعداد المهاجرين، والسبب هو قيام الثورة التحريرية واشتدادها، حيث فضل عدد كبير من الشباب الجزائري الالتحاق بها وتلبية النداء الوطني. ومع انتهاء مرحلة الثورة التحريرية، نلاحظ ارتفاعاً في عدد المهاجرين، نتيجة لرغبة الجنرال ديغول في إجراء محادثات سياسية مع قادة جبهة التحرير الوطني قصد إنهاء الحرب، وبما أن العناصر الموالية للمحتل ربطت مصيرها بوجوده، فإن أعداداً كبيرة منهم آثرت الهجرة إلى فرنسا خلال سنتي 1961 و1962⁽⁴⁰⁾.

ثالثاً: الأسباب الحقيقية وراء فعل الهجرة الجزائرية إلى فرنسا

1/ الأسباب الاقتصادية: بإلقاء نظرة سريعة على الحالة الاقتصادية في الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي فإننا سنجد أن أغلب سكان الجزائر كانوا يقطنون الأرياف ويشغلون على الزراعة وتربية المواشي، فقطاع الزراعة كان نشيطاً بحيث استطاع جعل الجزائر تحقق فائضاً في الإنتاج وتصدر عديد المنتجات إلى الخارج، منها الحبوب التي كانت تصدر إلى فرنسا بوجه خاص، غير أن الأساليب التي اتبعتها فرنسا منذ احتلالها للجزائر، من سياسة استيطانية، إلى سياسة الأرض المحروقة، إضافة إلى أعمال السلب والنهب لأموال الجزائريين، كل هذا جعل الجزائر عرضة للمجاعات والأوبئة⁽⁴¹⁾، وبغية تحقيق الهدف الاستعماري تطلب ربط الجزائر بالآلة الاقتصادية الفرنسية، وهذا الربط لن يحققه الجزائريون ولا العسكريون الفرنسيون، بل سيحققه رأس المال الفرنسي والمدنيون الفرنسيون، وفي شهر جانفي من عام 1840م نجد الجنرال "بوجو" يؤكد في خطابه أمام النواب على ضرورة تأسيس مقاطعة فرنسية في الجزائر يسيطر فيها المستوطنون الفرنسيون، كما أنه أكد في ندائه الموجه إلى سكان الجزائر بصفته حاكماً عاماً في الجزائر يوم 23 فيفري 1841م، على أن الغزو سيكون عقيماً من دون الاستيطان⁽⁴²⁾ فأدت بذلك سياسة الاستيطان المطبقة من طرف فرنسا إلى تجريد الجزائريين من أراضيهم الخصبة وتسليمها للأوروبيين المستوطنين، ليجد الجزائري نفسه مبعداً إلى الجبال حيث المناطق الفقيرة.

إن فرنسا كانت تدرك أهمية تواجد المستوطنين المدنيين الفرنسيين والأوروبيين في الجزائر، فهم من سيدعمون الاحتلال ورأس المال الفرنسي، لكن إقامة هؤلاء بالجزائر لن تتم إلا على حساب الجزائريين، وأهداف فرنسا من ذلك كثيرة لعل أهمها أن المستوطنين الأوروبيين وبحكم ارتباطهم بالسوق الفرنسية هم الذين يستطيعون تغيير بنية وأهداف الزراعة الجزائرية التي ظلت حتى ذلك الوقت زراعة الاكتفاء الذاتي

المحلي بالدرجة الأولى، بحيث يجعلونها تخدم السوق الفرنسية بإدخال مزروعات جديدة تحتاجها هذه السوق⁽⁴³⁾.

ونتيجة للتقسيم غير العادل للأراضي الزراعية فإن الجزائري قد صعب عليه الحصول على ما يكفي للعيش الأساسي، وما حدث في بعض الجهات من الجزائر هو أن ما نسبته 50% من السكان كانوا يعيشون على أكل بعض الأعشاب والبقول، وهو ما لاحظته الكاتبة الفرنسية "البير كامو" سنة 1939م⁽⁴⁴⁾ وبالتالي ستكون أولى النتائج المباشرة لهذه السياسة الاستعمارية، هي أن أعدادا كبيرة من الجزائريين ستكون في حاجة إلى العمل، وسيضطر الفلاح الجزائري إلى العمل كخماس لقاء اجر زهيد عند المستوطنين الأوربيين في خدمة الأرض التي كانت بالأمس ملكه .

2/ الأسباب الاجتماعية والتعليمية: أوجدت فرنسا نظاما جديدا في الجزائر، حيث تم تقسيم البلاد إلى

ثلاث مقاطعات هي "الجزائر، وهران، قسنطينة" وأقامت تنظيمات بلديا خاصا، تراب مدني حيث يقيم العنصر الأوربي بأعداد كبيرة والبلدية فيه تدار من طرف المدنيين، وتراب مختلط حيث عدد الأوربيين قليل، والإدارة البلدية فيه خاضعة لمحافظين عسكريين يقومون بدور المدنيين، وتراب عربي حيث لا وجود للعنصر الأوربي المدني والإدارة فيه للعسكريين، بهذا الأسلوب منح المرسوم المدنيين الأوربيين حق تسيير شؤونهم بأنفسهم، في حين سلم إدارة الجزائريين للعسكريين عن طريق "المكتب العربي" الذي خولت له سلطة بدون حدود، ونجد بين هذا المكتب والجزائريين ذلك الجهاز المكون من القادة الجزائريين الذي عمل على استغلال الجماهير الشعبية واجبرها على العمل في مصلحة فرنسا ومصالحته أيضا.

وبالتالي يتبين لنا أن إدارة الاحتلال كانت منذ البداية قائمة على التفرقة العنصرية بين الجزائريين والأوربيين، ففي الوقت الذي وضعت فيه الأوربيين تحت إدارة مدنية متطورة مستوحاة من النظم الأوربية، وضع الجزائريون تحت إدارة مركزية عسكرية⁽⁴⁵⁾، ولم تكفي سلطة الاحتلال بذلك بل راحت تتفنن في إصدار العديد من القوانين، فمن قانون مجلس الشيوخ "سيناتوس كونسيلت" سنة 1865م⁽⁴⁶⁾، إلى قانون الأهالي⁽⁴⁷⁾، وإنشاء محاكم الاضطهاد سنة 1902م، وكذا التجنيد الإجباري سنة 1912م⁽⁴⁸⁾ وكل هذه القوانين تمثل اعتداء صارخا على جميع مبادئ الحرية، ولعل أكثر القوانين تعسفا خلال الق 19 هو قانون الأهالي، لان مجموعة بنوده حولت الجزائر إلى سجن كبير⁽⁴⁹⁾.

أما فيما يخص الضرائب فإننا نجد فرنسا في بداية الاحتلال تبقي على النظام الضريبي القديم الذي كان سائدا أيام الحكم العثماني، وهو ما يعرف بالضرائب العربية للتمييز بينها وبين الضرائب المدمجة في النظام الفرنسي، ومن كلف بتحديداتها وجمعها هم القادة العرب والمكاتب العربية، لتبلغ هذه الضرائب سنة 1840م حوالي 300 ألف فرنك، وانتقلت بسرعة إلى 4 ملايين من الفرنكات سنة 1845م، واستمرت مداخيل الضرائب العربية في الازدياد، فبلغت قمتها قبل حلول القرن العشرين، ثم أخذت تتراجع بسبب فرنسا الأرض بواسطة القوانين الفرنسية وفقدان الجزائريين أراضيهم لصالح الاستيطان وإدارة

الاحتلال⁽⁵⁰⁾، إذ بعد مصادرة الأراضي اجبر الجزائريون على استصلاح الأراضي الرديئة التي تخلوا عنها في السابق، ليصبح بذلك الفلاح الجزائري يعيش في دوامة جهنمية، فإذا كانت المحاصيل رديئة فإنه لا يمكنه القيام بالبذر مرة أخرى قبل شراء البذور عن طريق القرض من احد الأوربيين أو اليهود بنسب فوائد بلغت 40% لمدة شهرين، وللتسديد فإن الفلاح كان مضطرا للاستسلام لحياة بائسة، وإذا كانت المحاصيل جيدة فإن الأسعار كانت تنخفض من 20 إلى 30 % في يوم واحد⁽⁵¹⁾، لينتج عن هذه السياسة المطبقة انتشارا واسعا للفقير والبطالة، ليلبغ عدد العاطلين عن العمل سنة 1954م حوالي 1000000 عاطل عن العمل، وإلى جانب هذا العدد كان هناك الكثير من العاملين يعملون بصورة غير دائمة ولقاء أجور ضئيلة، فحسب الإحصاءات لسنة 1910م فإن اجر العامل كان لا يتجاوز فرنكا واحدا ونصف مقابل 14 ساعة عمل مرهق طوال اليوم، ومن سنة 1910م إلى 1920م بلغ هذا الأجر 4 فرنكات⁽⁵²⁾.

يبدو أن هناك ارتباطا وثيقا بين الأسباب الاجتماعية والتعليمية، وان الباحث في الثانية سيجد أن الجزائر لم تعرف الأمية قبل الاحتلال الفرنسي للجزائر، حيث كانت كل من الكتاتيب والزوايا والمساجد تقوم بمهمتها في تعليم الأمة وتنشئتها التنشئة العربية الدينية الصحيحة، لكن ذلك سرعان ما تغير، لان الاستعمار حطم الكتاتيب القرآنية، وألغى وحجز التعليم في المساجد التي دمر وهدم أكثرها⁽⁵³⁾، فالحكومة الفرنسية في البداية نجدها تتجاهل قضية التعليم، ولم تشغل وتنشغل إلا بمهمة إفناء العنصر الجزائري وتحطيم قواه وإخماد حركاته، فما كاد ينتهي هذا الدور حتى فرغت البلاد من العلم بصفة تكاد تكون محققة، وأصبح الناس يتعلمون في ديارهم كأنهم يرتكبون جريمة⁽⁵⁴⁾، كل هذا بالإضافة إلى مصادرة الأوقاف التي تعتبر الممول الأول بالنسبة للتعليم.

ولفهم هجرة الأحداث والشبان طلبا للشغل دون إعداد مسبق ولا كافي، علينا إدراك أن نسبة المتعلمين من الأطفال كانت ضعيفة جدا، وبسبب مناهضة الفرنسيين للتعليم فقد ساد جو من الخمول إلى أن وثب وثبة جديدة اثر صدور المرسوم بتاريخ 13 فبراير 1883م، وكان "جول فيري" وزيرا فرنسياا للتربية الوطنية حينذاك، ممن يرون في المدرسة سلاحا يتم من خلاله التغلب على الروح التي خلصت إلى ثورة عام 1871م⁽⁵⁵⁾، فظهرت المدارس في المدن والقرى، لكن سياسة الدولة الرامية إلى غزو فكر الجزائريين بواسطة المدرسة قد وجدت معارضة من الأوربيين في الجزائر لأنهم يرون أن الأهالي سيرفعون شعار الجزائر للعرب إذا ما انتشر فيهم التعليم، ليكون هذا سببا في خمول التعليم قبل الحرب الكونية الأولى، ولم تكن توجد غير 404 مدرسة كان يتردد عليها عدد 46927 قبيل الحرب⁽⁵⁶⁾.

وما تظهره الإحصائيات هو أرقام هزيلة فيما يخص تدرس الشباب المسلمين مقارنة بالشباب الأوربيين، خاصة إذا علمنا أن عدد المسلمين كان أكثر بست مرات من عدد الأوربيين، فضلا عن أن عدد الأطفال في العائلات المسلمة كان يفوق عددها في العائلات الأوربية⁽⁵⁷⁾.

ولم تكن حرية التعليم الممنوحة بصفة واسعة للمواطنين لاسيما للجمعيات المسيحية متوافرة للمسلمين لان الإدارة الفرنسية كانت تبحث عن هدف مزدوج، تمثل في محاربة مدارس اللغة العربية التي هي وعاء الإسلام والوطنية، ومنعها من منافسة المدارس الفرنسية، وهو ما تسبب في تفهقر التعليم التقليدي⁽⁵⁸⁾، وعليه لم يكن فتح مجال التعليم أمام الأطفال الجزائريين يندرج ضمن سياسة تنمية المنظومة التعليمية الموجودة، بل حدث في سياق سياسة استيطانية قائمة على تهديم النظام التعليمي الموجود ليحل محله نظام تعليمي يكرس الاستعمار ولا يهدف إلى تحقيق الرقي الاجتماعي والاقتصادي لكل سكان الجزائر⁽⁵⁹⁾ وكان الأطفال الجزائريون عندما يبلغون سن الدراسة لا يجدون سوى مقعد واحد لكل خمسة ذكور ومقعد آخر لعدد يتراوح ما بين 16 و 76 فتاة، معناه أن طفلين جزائريين فقط من جملة حوالي 30 طفل كان يمكن لهما دخول المدرسة في سنة 1954م، الأمر الذي يسمح لنا التأكيد بأن حوالي 7 % فقط من أبناء الجزائر كانت لهم فرصة التعليم، إضافة إلى نسب الفشل والعجز عن مواصلة الدراسة نتيجة الفقر والحاجة⁽⁶⁰⁾.

وبعد معالجة أسباب الهجرة في شقيها الاقتصادي والاجتماعي، يمكن أن نصل إلى نتيجة مهمة، بل أساسية في هذا الموضوع، وهي أن الوضع الاقتصادي المفروض على الشعب الجزائري، اثر بالضرورة سلبا على الحالة الاجتماعية للجزائريين، فالفرد الجزائري وجد نفسه محاصرا من كل الجهات، حيث صودرت أرضه، وانتهكت كرامته فاجبر على العمل بصفة "خماس" لدى الأوربي، في ارض كانت بالأمس ملكا له، يعمل من اجل توفير لقمة العيش وتحصيل ابسط ضروريات الحياة، وجرى من حريته في الاختيار في كل شيء، فتم تجهيله، وهدد في دينه و... وكل ذلك ولد عقدة نفسية لديه، خاصة إذا عرفنا أن طبيعة الفرد الجزائري لا تقبل الاستكانة للعدو ولا ترضى بالاهانة -وهو ما أثبتته تاريخنا الطويل- والوضع الذي أصبح يعيشه كان أكثر من قدرة احتماله، حيث يهان أمام عائلته، عاجز على توفير قوت يومه لعائلته وربما حتى عاجزا عن حمايتهم والدفاع عنهم أمام محتل لا يرحم، اذن كل هذا سيولد كبتا داخليا وضغطا نفسيا رهيبا، ما سيدفع به حتما إلى مغادرة بلاده التي لم يعرف غيرها، تاركا وراءه أهله وخالته، وجهته في ذلك بلاد ما وراء البحار، أملا في تحقيق حياة أفضل من تلك التي فرضها عليه الاحتلال.

3/ الأسباب السياسية: يمكننا القول أن السبب وراء هجرة أعداد كبيرة من الجزائريين يعود إلى

ملاحم الحكم الفرنسي في حد ذاته، فهو لم يكن عادلا ولا تعاونيا ولا حتى متقبلا للوضع الجزائري، بل كان حكما اضطهاديا وقاسيا، وتوجد أسباب أخرى وراء فعل الهجرة لعل أهمها انعدام الحرية، فمادام القانون يعتبر الجزائريين رعايا، فان الفرنسيين لم يعترفوا لهم بحقوقهم في التمتع بكامل الحريات المدنية والسياسية كمواطنين، إضافة إلى الملاحم الاضطهادية للحكم الفرنسي التي مثل قانون الأهالي اسوأها⁽⁶¹⁾.

ومع إقدام الإدارة الفرنسية بالجزائر على خرق قوانين السنة المحمدية عن طريق حرمان التجمعات المحلية من حق اختيار قادة كل جماعة حسب ما جرى عليه العرف والتقاليد الإسلامية، ويلاحظ انه بقدر ما كانت تظهره فرنسا من تعسف واضطهاد للشخصيات المحلية التي كانت تحت رجال القرى والريف على مقاومة جيش الاحتلال، بقدر ما تزايد عدد المطالبين بالحقوق السياسية وإبقاء الشخصية الجزائرية مستقلة عن الشخصية الفرنسية، وهنا نشير إلى المرسوم السياسي الصادر بتاريخ 1870/10/24م، الذي جرد بمقتضاه أبناء الجزائر المسلمون من المشاركة في هيئات المحلفين الشرعية التي تنظر في القضايا المقدمة إلى المحاكم، وقد نص هذا المرسوم على اعتبار الجنسية الفرنسية أساسية للتعيين بأية هيئة من المحلفين، ليصبح المعمرون وحدهم من يتحكمون في مصير الجزائريين، إذ من حقهم القيام بدور الخصم والحكم في أي نزاع مع المسلمين الجزائريين، باعتبار أن هيئات المحلفين متكونة من الفرنسيين فقط⁽⁶²⁾ وبالتالي كان التضيق على الحريات السياسية سببا آخر لهجرة عدد من الشخصيات الوطنية نحو فرنسا التي كانت تتمتع بحرية تسمح لهؤلاء بالنشاط والدفاع عن حقوقهم، التي أصبحت تحت حكم الأوربيين المستوطنين بالجزائر.

4/ الأسباب العسكرية: كثيرا ما نعتبر التجنيد الإجباري سببا من أسباب الهجرة الجزائرية، كونه جعل الجزائر تعيش توترا كبيرا، وهو القانون الذي لقي معارضة شديدة من قبل الجزائريين، حيث جندت فرنسا خلال الحرب الكونية الأولى آلاف الجزائريين، وزجت بهم في حرب لا تعنيهم، وتجاوزت في ذلك ما نص عليه قانون التجنيد من شروط، فأصدرت مرسوما في 07 سبتمبر 1916م، أمر بتجنيد كافة الجزائريين، ليلعب عدد من تم تجنيدهم حسب الإحصائيات الفرنسية نحو 177.800 فردا⁽⁶³⁾ ليلعب إجمالي الجزائريين الذين نقلوا إلى فرنسا تحت ضغط الحرب نحو 270000 بين جنود في جبهات القتال، وعمال في المصانع أو الفلاحة⁽⁶⁴⁾.

وقد مكن هذا النوع من الهجرة لأداء الخدمة العسكرية العديد من الجزائريين من الاحتكاك بالثقافة الأوربية والتعرف على وسائل التقدم الحديثة التي أجاد استغلالها المجتمع الأوربي وسخرها لخدمة أهدافه⁽⁶⁵⁾، وعليه نسجل عددا كبيرا من الجزائريين بقوا في فرنسا حتى بعد تسريحهم من الخدمة⁽⁶⁶⁾ ومن عاد منهم إلى الجزائر ما لبث أن رجع ثانية إلى فرنسا⁽⁶⁷⁾.

ولعل النتيجة الأولى للحرب الكبرى كانت بان تعرف المسلمون الجزائريون على ارض فرنسا التي جندوا للدفاع عنها، فاخذ المتروبول في أذهانهم شكل الأرض الموعودة قائلين: "إنهم في فرنسا يحبوننا، إنهم في فرنسا يعاملوننا بالحسنى، انهم في فرنسا يدفعون لنا ..."، لم يكن في ذهن الخماس حينئذ إلا فكرة واحدة وهي الهروب من الدوار (الريف) ومغادرة هذا البلد الذي أصبح غير مضياف، فحسب تعبير فرحات عباس أن هذا البلد لم يعد فيه منذ زمن بعيد إلا النكد والبؤس، فيغادر 150000 عامل عبروا المتوسط وكونوا الرابط الذي جعل عمالا آخرين يغادرون⁽⁶⁸⁾.

إذن يمكن القول أن الخدمة العسكرية سمحت لعدد كبير من الشباب الجزائري بان يحتك بغيره، فيتعرف بذلك على مختلف الأفكار الجديدة، كما سمحت له بمعرفة الفرد الفرنسي جيدا وهو يختلف كثيرا عن الصورة النمطية يعرفها والتي لطالما مثلها المستوطن الأوربي بالجزائر، وبالتالي أصبح يدرك الفرق الكبير بين الاثنين، إضافة إلى تلك الحقوق التي منحت لهم في فرنسا وحرموا منها في بلادهم .

خاتمة:

من خلال كل ما سبق يمكننا عرض النتائج المتوصل إليها في النقاط التالية :

- أن فعل الهجرة خلال الفترة الاستعمارية مثل حركة اجتماعية، عبرت عن الطبيعة الحقيقية للفرد الجزائري، طبيعة ترفض الخضوع لمحتل كافر يمارس كل أساليبه لإفناء الشعب الجزائري.
- أن السياسة الفرنسية الرامية لتحقيق الاستيطان بشتى الطرق هي السبب الرئيس في هجرة الجزائريين، باعتبار أنها خلقت وضعا جديدا يصعب احتمالها، ففكر الكثير بأن الهجرة ستكون الحل للتخلص من هذا الضيم، فكانت الهجرة بذلك سببا في إنجاح المشروع الاستيطاني الذي حلمت فرنسا بتحقيقه.
- أن الهجرة الجزائرية والى غاية الحرب الكونية الأولى كان اتجاهها نحو المشرق العربي والبلاد الإسلامية، بعدها تغير مسارها نحو فرنسا نظرا لتشجيع هذه الأخيرة لها.
- إن المتتبع لسير حركة الهجرة سيجد أنها ترتفع نسبتها أحيانا وتنخفض أخرى، وسبب ذلك هو القوانين الفرنسية التي تخللت بعض الفترات، وما كان تشجيع فرنسا للهجرة الجزائرية عبثا، وإنما لأنها ترى فيها قوة بشرية تمثل يدا عاملة احتياطية تلجأ إليها وقت الحاجة.
- اختلفت أسباب الهجرة إلى فرنسا فكان لكل فرد جزائري دوافعه الخاصة، وكل سبب من الأسباب المذكورة أنفا ساهم بنسبة معينة في هذا الفعل، لكننا نرى أن الدافع المشترك بين أغلبية المهاجرين، هو أن الوضع الاقتصادي الذي فرضته سلطة الاحتلال انعكس سلبا على الحياة الاجتماعية للشعب الجزائري، فساهم في خلق ضغط نفسي رهيب لدى الفرد الجزائري، الذي لم يعد قادرا على تحمل العيش في أرضه كخماس يهان بشتى الطرق، لينتهي كل ذلك به إلى الضيق بالوطن فاختر الهجرة إلى فرنسا طمعا في تحصيل حياة أفضل.

*** قائمة المراجع :**

- (1) الإمام متولي الشعراوي: الهجرة النبوية، المكتبة التوثيقية، تحقيق مركز التراث لخدمة الكتاب والسنة، ص41.
- (2) كريستال بانصونا: الهجرة، تر: سعيد بن الهاني، مجلة ثقافات، جامعة البحرين، كلية الآداب، 2010، ص203.
- (3) عبد الحميد زوزو: الدور السياسي للهجرة إلى فرنسا بين الحربين 1914-1939، نجم شمال إفريقيا وحزب الشعب الجزائري، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 2007، ص11.

- (4) ينظر: مليكة قليل: هجرة الجزائريين من الاوراس إلى فرنسا (1900-1939)، مذكرة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2009، ص-ص 11-12
- (5) عبد الحميد زوزو: المرجع السابق، ص12.
- (6) المرجع نفسه.
- (7) عبد المجيد شيخي: الهجرة الجزائرية في مواكبة المقاومات، أعمال الملتقى الوطني حول الهجرة الجزائرية إبان مرحلة الاحتلال 1830-1962، الجزائر: منشورات وزارة المجاهدين، ص33.
- (8) جمال يحيوي: دوافع الهجرة الجزائرية خلال الق 19، أعمال الملتقى الوطني حول الهجرة الجزائرية إبان مرحلة الاحتلال 1830-1962، الجزائر: منشورات وزارة المجاهدين، ص43.
- (9) احسن بومالي: اول نوفمبر 1954، بداية النهاية لخرافة الجزائر الفرنسية، الجزائر: دار المعرفة، 2010، ص236.
- (10) عبد المجيد شيخي: المرجع السابق، ص34.
- (11) سعيد بورنان: نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في فرنسا 1936-1956، الجزائر: دار هومة، 2013، ص22.
- (12) Kamel kateb: Européens, indigènes et juifs en Algérie (1830-1962), représentations et réalités des populations, algerie : éditions elmaarifa, 2010, p.257
- (13) أبو القاسم سعد الله: أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ط1، ج4، لبنان: دار الغرب الاسلامي، 1996، ص 193.
- (14) المرجع نفسه.
- (15) عمار بوحوش: العمال الجزائريون في فرنسا، دراسة تحليلية، الجزائر: وزارة المجاهدين، 2008، ص129.
- (16) المرجع نفسه، ص-ص 129-130
- (17) المرجع نفسه، ص131.
- (18) عبد الحميد زوزو: المرجع السابق، ص-ص 12-13
- (19) عمار بوحوش: المرجع السابق، ص134
- (20) شارل روبير اجرون: الجزائريون المسلمون وفرنسا 1871-1919، ج2، الجزائر: دار الرائد، 2007، ص400.
- (21) عبد الحميد زوزو: المرجع السابق، ص13.
- (22) سعيد بورنان: المرجع السابق، ص23.
- (23) عمار بوحوش: المرجع السابق، ص134.
- (24) Kamel kateb: Op.cit, p 259.
- (25) Ibid, p- p.54-55
- (26) عمار بوحوش: المرجع السابق، ص-ص 134-135.
- (27) عبد الحميد زوزو: مرجع سابق، ص14.
- (28) سعيد بورنان: المرجع السابق، ص-ص 23-24
- (29) Tayeb belloula : Les algériens en France, Alger : éditions nationales algériennes, 1965 ,p- p23-24.
- (30) عبد الحميد زوزو: المرجع السابق، ص18.
- (31) Tayeb belloula: Op.cit, p34.
- (32) عمار بوحوش: المرجع السابق، ص138.
- (33) المرجع نفسه، ص138.

- (34) عبد الحميد زوزو: المرجع السابق، ص-ص 22-23.
- (35) سعيد بورنان: المرجع السابق، ص 25.
- (36) عمار بوحوش: المرجع السابق، ص 139.
- (37) المرجع نفسه.
- (38) المرجع نفسه، ص 141.
- (39) Kamel kateb : Op.cit, p-p 54-55.
- (40) عمار بوحوش: المرجع السابق، ص-ص 142-143.
- (41) سعيد بورنان: المرجع السابق، ص 35.
- (42) صالح عباد: الجزائر بين فرنسا والمستوطنين 1830-1930، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، ص 10.
- (43) المرجع نفسه، ص-ص 11-12.
- (44) عمار بوحوش: المرجع السابق، ص 151.
- (45) صالح عباد: المرجع السابق، ص 30.
- (46) ينظر: أحمد الخطيب: حزب الشعب الجزائري، جذوره التاريخية والوطنية، ونشاطه السياسي والاجتماعي، ج1، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986، ص 28).
- (47) ينظر: أحمد الخطيب: المرجع نفسه، ص 31.
- (48) ينظر: بشير بلاح: تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1989، ج1، الجزائر: دار المعرفة، 2006، ص 237.
- (49) مليكة قليل: المرجع السابق، ص 59.
- (50) صالح عباد: المرجع السابق، ص-ص 30-31.
- (51) شارل أندري جوليان: تاريخ الجزائر المعاصرة، الغزو وبيدات الاستعمار (1871-1927)، تر: جمال فاطمي واخرون، ط1، مج1، الجزائر: شركة دار الأمة، 2008، ص-ص 688-689.
- (52) سعيد بورنان: المرجع السابق، ص-ص 30-31.
- (53) أحمد توفيق المدني: هذه هي الجزائر، مصر: مكتبة النهضة المصرية، ص-ص 139-140.
- (54) المرجع نفسه، ص 140.
- (55) عبد الحميد زوزو: المرجع السابق، ص-ص 47-48.
- (56) المرجع نفسه، ص 48.
- (57) محفوظ قداش: تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، 1919-1939، تر: امحمد بن البار، ج 1، الجزائر: شركة دار الأمة، 2008، ص 41.
- (58) المرجع نفسه، ص 42.
- (59) حسين عبداللوي: هجرة الطلبة الجزائريين إلى فرنسا 1900-1960، أعمال الملتقى الوطني حول الهجرة الجزائرية إبان مرحلة الاحتلال 1830-1962، الجزائر: منشورات وزارة المجاهدين، 2006، ص 129.
- (60) العربي الزبيري: تاريخ الجزائر المعاصر، دراسة تحليلية، ج1، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ص-ص 21-22.
- (61) أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1939، ط 4، ج2، دار الغرب الإسلامي، 1992، ص-ص 119-120.
- (62) عمار بوحوش: المرجع السابق، ص-ص 155-156.



- (63) بشير بلاح: المرجع السابق، ص 354.
- (64) عبد الحميد زوزو: المرجع السابق، ص 46.
- (65) عمار بوحوش: المرجع السابق، ص 163.
- (66) ينظر: فرحات عباس: الشباب الجزائري، تر: احمد منور، الجزائر: وزارة الثقافة، 2007، ص 50.
- (67) عبد الحميد زوزو: المرجع السابق، ص 46.
- (68) عباس فرحات: المرجع السابق، ص - ص 52-53.